كل سنة فى نفس الميعاد

دوت الصرخات وتوالت الصيحات ، هرع على أثرها أهل القرية كل على حاله ، فهذا بجلبابه المتهرىء ، وذاك بسرواله المبتل الملطخ بالطين وهو يروى أرضه ، وثالث لم تسعفه قواه البدنية فامتطى حماره ، وتلك أسرعت ويداها مخضبتان بالعجين ، وآخرون كثيرون هرولوا يتتبعون مصدر الصراخ .

اصطف الجميع على حافة البحر الذى يشق القرية ويقسمها نصفين ، وقفوا يدققون النظر إلى قاعه المتلاطم الأمواج ، وأخذ " عبد اللطيف الشناوى " يشيح بيديه فى حركات بهلوانية قائلا :

- " متولى " ابن " عطية أبو على " غرق فى نفس الحتة بتاع كل مرة .

وراح يصرخ فى الحضور يستحثهم على القفز إلى قاع البحر ، فأخذ كل منهم ينظر للآخر ويشير إليه بالإسراع لإنقاذ " متولى " دون أن يبادر هو بذلك ، فأخذ يثرثر ويخبرهم أنه طفا إلى سطح الماء ، ثم توارى وسط الأمواج ، ثم طفا مرة أخرى ، ثم توارى ، ثم طفا إلى السطح متشبثا بالحياة ، وأخيرا تاه وسط الأمواج التى ابتلعته واختفى عن الأنظار .

تعلقت الأنظار بشاب قادم يطوى الطريق طيا ، إنه " حسام البنا " - طالب بكلية التربية الرياضية – وبمجرد وصوله صاح قائلا :

- غرق فين ؟

أشار " عبد اللطيف الشناوى " بيده ، فأسرع بالقفز وغاص إلى الأعماق واستمر بقدر مخزون الأكسجين فى صدره ، ثم طفا يتزود ويملأ رئتيه بما يعينه على معاودة الغطس ، وكرر محاولته عدة مرات أعلن بعدها عدم وجوده بذلك المكان .

اقترح " سامى أبو الأفكار " - مهندس زراعى شاب – أن يسرع أحدهم إلى خفير البدالة ليغلق المياة الآتية من فرع النيل إلى ذلك البحر ، وأشار إلى آخر بالاتصال بشرطة المسطحات المائية لإيفاد غواصيها .

مارس الغواصون عملهم الذين أتوا من أجله ، وبعد عدة محاولات صعد أحدهم إلى الشاطىء حاملا " متولى " وأرقده فى خشوع ، فأسرع " عبد اللطيف الشناوى " بخلع جلبابه وستره به . انطلقت حناجر النساء بالصراخ والعويل ، وعلت صيحات الرجال ، وارتمت " فاطمة النويهى " – أم متولى – مغشيا عليها ، فأسرع البعض بنقلها إلى دارها ، وجلست " شيماء " ابنة أختها بجوارها ترعاها حتى أفاقت من غيبوبتها .

تم دفن " متولى " ووقف " عطية أبو على " أمام منزله يتلقى العزاء ، وألقى الشيخ " حجاب عبدالمولى" - إمام وخطيب المسجد الكبير بالقرية – كلمة ارتجفت لها القلوب ودمعت لها العيون .

لمح " عطية أبو على " " طه أبو الخير " - زميل دراسة ابنه الفقيد – يجلس منزويا فى أحد الأركان يبكى فى صمت فأسرع إليه وارتمى فى أحضانه ، وامتزجت دموعهما وعلا نحيبهما .

أسرع " سامى أبو الأفكار " يفك الاشتباك وربت على كتف " عطية أبو على " قائلا :

- وحد الله يا عم " عطية " ، إنت رجل مؤمن .
- ونعم بالله يا ابنى ، الفراق صعب ، يا ريت أنا اللى كنت غرقت .
- وبعدين يا عم " عطية " خلى إيمانك قوى .
- خلاص يا ابنى ، أنا سكت أهه .

جلس رواد مقهى : حامد أبو مسلم " يترحمون على فقيد القرية وزينة شبابها ، ويدعون له بالمغفرة ولآله الصبر والسلوان .

مصمص " عبد اللطيف الشناوى " شفتيه قائلا :

- مه عارف اللى بينزل البحر فى الحتة دى ما بيطلعش تانى ، يبقى ينزل ليه ؟

نهره " سامى أبو الأفكار " قائلا :

- هى دى ساعته ، وكان لازم يموت فى الساعة دى ، وفى الحتة دى

تدخل " حسام البنا " مؤيدا :

- أيوه يا باشمهندس ، تعددت الأسباب والموت واحد .

عقب " حامد أبو مسلم " وهو يسحب نفسا طويلا من الشيشة التى بيده قائلا :

- لكن الحذر مطلوب برضه يا باشمهندس " سامى " .

رد " سامى " فى تؤدة :

- يا معلم " حامد لا يغنى حذر من قدر .

عمت لحظة صمت ، قطعها " سامى أبو الأفكار " متمتما :

- اللهم إنى لا أسألك رد القضاء بل أسألك اللطف فيه .

دارت " ثنية الهلباوى " – زوجة المعلم " حامد – وهى تحمل صينية وقد أصرت على تقديم أقداح القهوة الساده مجانا لكل رواد

المقهى رحمة ونور على روح المرحوم " متولى " ، واقتربت من " سامى أبو الأفكار " قائلة :
- الحتة دى مسكونة يا باشمهندس ، كل سنة فى الميعاد ده لازم حد يغرق فيها .
- مسكونة إزاى يعنى يا ثنية ؟
- يعنى فيها عفاريت وجان يا باشمهندس .
وأمسكت بطوق ثوبها وتفلت فى صدرها قائلة :
- اللهم اجعل كلامنا خفيف عليهم .
رد " سرحان أبو شوشة " – فلاح فى الخمسين من عمره ، مفلوت اللسان ، لا يميز بين الصالح والطالح – قائلا :
- فيها عفاريت وجان يا ثنية ، أمال انتى والقرد اللى قاعد جنبك ده تبقوا إيه ؟(مشيرا إلى زوجها)
وقهقه عاليا بصوته الجهورى الأجش الشبيه بنهيق الحمار .
انتفض " عبد اللطيف الشناوى " واقفا وهجم عليه كالثور الهائج وأمسك برقبته وأطبق عليها بكلتا يديه قائلا :
- بتضحك على إيه يا ابن الـ ... يا عديم الإحساس .
- سيب رقبتى يا وله ، روحى حاتطلع يخرب بيتك .
- يا ريتها تطلع ، مكنتش أنت اللى مت وريحتنا .
وظل محكما قبضته على رقبته حتى انتفخت أوداجه وسال لعابه وتدلى لسانه وأشرف على الموت ، فقفز " حسام البنا " وامتطى ظهر " عبد اللطيف " وفك قبضته وخلص سرحان " من بين يديه ، ونهره بقوله :

- أنت حاتعمل عقلك بعقل المهبول ده ، هو ده يتحاسب يا عبد اللطيف ؟

ما كاد " سرحان أبو شوشة " يفلت من قبضة " عبد اللطيف الشناوى " حتى أمسك بكوب شاى وقذفه بأقصى ما يملك من قوة تجاه " عبد اللطيف " الذى انحنى مسرعا تفاديا لذلك الكوب ، وأسرع إليه يصفعه على وجهه ويكيل له اللكمات وهو مستسلم يتلقى الضربات فى سكينة .

أسرع " سامى أبو الأفكار " واصطحب " عبد اللطيف " إلى مقعده بالمقهى ، فأخذ سرحان " يهذى ببعض الكلمات غير المفهومة والرزاز يتطاير من فمه ، ولم يتضح من كل ما قاله سوى قوله

- والله لأجيبلك الواد " محمد وهدان " يدغدغك .

- ما تجيبه يا خويه ، يعنى حاتجيب لى " عنتر " .

واصلت " ثنية " ثرثرتها تحصى الغرقى الذين لقوا حتفهم فى ذلك المكان ، وذكرت أنه فى العام الماضى غرقت " قدرية بنت أبو سويلم " و " على البرنبالى " وفى العام قبل الماضى غرق " خليل أبو شامة " و " جمال أبو طويلة " ، وأنها منذ زواجها فى تلك القرية يغرق العديد من أهلها سنويا فى ذلك المكان المشئوم ، وراحت تكمل توزيع أقداح القهوة على بقية زبائن المقهى .

تدخل " عبد اللطيف الشناوى " مؤكدا صحة ما قالته ، واستطرد وهو يرمق " سرحان أبو شوشة " بنظرات يتطاير منها الشرر قائلا

- أحسن " سرحان " الأهطل ده مش عاجبه كلامها .

وعقب " سامى أبو الأفكار "فى هدوء وثقة :

- يا جماعة ، كل اللى غرقوا دول مكنش حد فيهم بيعرف يعوم وعلى كل حال دى مسألة أعمار .

سمع " سرحان أبو شوشة " ذلك وكعادته أخذ يقهقه بصوت أجش متحشرج فنهره " عبد اللطيف الشناوى " وهو يتوعده إن لم يغادر المقهى فسوف يمنحه تأشيرة مغادرة للدنيا بأسرها

أخرج الحاضرون " سرحان أبو شوشة " من المقهى رغما عنه ، فعبر الشارع وجلس القرفصاء على الجانب الآخر المواجه للمقهى وأخذ يلقى بوابل من السباب والشتائم لكل رواد المقهى الذين أهملوه ولم يعيرونه أدنى اهتمام فسار فى تكاسل يقدم رجلا ويؤخر الأخرى .

وجد " سامى أبو الأفكار الفرصة سانحة لإقناع أهل قريته أن يعلموا أبنائهم فنون السباحة منذ الصغر ، وطال الحديث واحتدم النقاش وكل منهم يدلى بدلوه ويعبر عن رأيه .

صمت الجميع فجأة وكأن على رءوسهم الطير إثر سماعهم صرخات مدوية مزقت سكون الليل وانطلقوا مسرعين يستطلعوا الأمر .

صادفهم الشيخ " حجاب عبدالمولى " على قارعة الطريق ، وأخبرهم قبل أن يسألوه أن جاموسة الحاج " سيد عبد الهادى " خرجت من الحظيرة وانطلقت تجاه البحر ، فحاول اللحاق بها ، وأمسك بالحبل المشدود إلى عنقها ولكنها جذبته وقفزت إلى البحر وهى تجره ورائها وبعد قليل خرجت الجاموسة إلى الشاطىء عائدة إلى الحظيرة ، وغرق " السيد عبد الهادى " .

اقتـرب " سـرحان أبـو شوشـة مـن الشـيخ " حجـاب عبـدالمولى " وحملق فى وجهه مستفسرا :
- ودى غلطة " السيد عبد الهادى " ولا غلطة الجاموسة يا مولانا الشيخ ؟
رمقه الشيخ " حجاب " بنظرات ساخرة ولم يجبه على تساؤله فتركه وأسرع الخطى خلف أهل القرية مطلقا ضحكاته البلهاء الخالية من أى معنى .